

(تفسير الشّيخ البرّاك)

القارئ: أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِن الشّيْطٰنِ الرّجِيمِ {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّٰهُ الشّاكِرِينَ} (١٤٤)
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ كِتَابًا مُؤْجَلاً وَمَنْ يُؤْدِي ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتَهُ مِنْهَا وَمَنْ يُؤْدِي ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتَهُ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشّاكِرِينَ} (١٤٥) وَكَأَيْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ٤٤-٤٨]

الشيخ: أستغفرُ الله، أستغفرُ الله، لا إله إلَّا الله، وحده لا شريكَ له.

يقول - تعالى -: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} الله - تعالى - لا يذكر اسم النبي باسمه، لا يذكر النبي باسمه إلَّا في مقام الإخبار، أمّا في الخطاب فهو لا يخاطبه إلَّا باسم النبوة والرسالة، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}، {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ}، وفي ذلك تكريّم له، وإظهار لفضله، وإعظام ل شأنه عليه الصلاة والسلام .

ولمّا جرى على المسلمين ما جرى من المزيمة والقتل في هذه الواقعة غزوة أحد، أشاع الشيطان بأنَّ الرسول قُتل ليُفتَّ في عَضُدِ المسلمين ولتزداد مصيبةهم، فالله تعالى يقول إنَّه وإن ماتَ مُحَمَّدٌ فالواجب الصبر والثبات، وهو يجُوزُ ..، هو بشرٌ، واحدٌ من الرسل، {وَمَا جَعَلْنَا لِيَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْحَلْدَ أَفَإِنْ مِثْ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [الأنباء: ٣٤]، يجُوزُ عليه الموت ويجُوزُ عليه القتل، وقد قُتلَ أنبياءٌ من قبله ورسلٌ، {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهُ شَيْئًا...} (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ} إنَّ ماتَ الرسُولُ فبأجلِهِ، وإن قُتلَ فبأجلِهِ، وهكذا [...] كلُّ البشر.

ثمَّ قالَ تعالى: {وَكَأَيْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ}، يعني كثيرٌ من الرسل كانَ معهم جنودٌ كثيرٌ ومقاتلون كثيرون، وقد أصابهم ما أصابهم {فَمَا وَهَنُوا ... وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} وفريٌ {وَكَأَيْنِ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}.

{وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} والمقصود هو توجيه الصحابة للثبات على الإسلام والجهاد في سبيل الله وإن ماتَ النبيُّ، وقد ماتَ النبيُّ - عليه الصلاة والسلام -، فلمَّا

ماتَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفَزَعَ النَّاسُ اضطُرِيَتْ وَطَاشتْ عَقُولُهُمْ وَمِنْهُمْ عُمْرٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ فِي أَرْضٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا [...]، فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ وَقَبَّلَهُ وَقَالَ: " طَبِّتْ حَيَاً وَمِيتًا" ، وَخَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَخَطَبَهُمُ الْخُطْبَةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي هَدَّا فِيهَا النَّاسَ وَبَيَّنَ لَهُمْ حُكْمَ هَذَا الْوَاقِعِ، " مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ اللَّهَ يَعْبُدُ اللَّهَ حَيًّا لَا يَمُوتُ" ، وَتَلَّا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ وَمِنْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } الْآيَاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.